العدد (1950) السنة الثامنة - الأحد (31) تشرين الأول 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

على هامش الصراحة

الواسطة!!

■ إحسان شمران الياسري

تُظهر الاحفوريات التي تم اكتشافها في وادي الرافدين وفي وادي النيل وفي مناطق أخرى من ارض الأناضول، والتي تتجاوز أعمارها ستة آلاف عام، أدلة على ما يُعرف اليوم (الواسطة) في تيسير أمور الناس. وبرغم الحياة البدائية التي اتصفت بها تلك الحُقب الغابرة، فإن الذهاب مع قائد القبيلة يتطلب واسطة وشفاعة، وربما رشوة. وسوف يكون حديثنا اليوم عن الواسطة دون الرشوة.

فوجود الواسطة، تجعل الشخص يحصل على حصته من الصيد متميزة عن حصة الآخرين.. فإذا كان الصيد (غزال) و(بعير)، يحصل صاحب (الواسطة) على (زنود الغزال)، فيما يحصل (ابن الخايبه) على (جلد البعير).. ويحصل صاحب الحظ الأثير، والواسطة المتنفذة على أجمل السبايا وأفضل الغنائم بعد كل غزوة..

ومع تطور حياة الجماعة والانتقال من الصيد، فالرعي، فالمدنية، تطورت أساليب التوسط والشفاعة والوقوف في أبواب المسؤولين والمتنفذين وأقاربهم..

وأصحاب الواسطة أنواع.. فهذا يبحث عن تحقيق غاية لا مشروعية فيها، أو لم يحن وقت إنجازها، أو فيها مشاكل وعيوب يصعب تحقيقها على حالتها، فيلجأ للواسطة لتجاوز كل هذه المعوقات..

وآخر يتنافس مع آخرين في نيل مكسب محدود العدد أو الفائدة، فيتوسط لنيلها دون الآخرين..

وثالث لدية كل المقومات ولكن طبيعة الأمور وعادات من لديهم حاجته تستدعي اللجوء إلى الواسطة للحصول على حقوقه..

وعادة يحصل (المُتَوَسّط لديه) على كلمات شكر وثناء و (رحمة والدين)..

ويبالغ البعض فينّظم الشعر بحق من أدى العمل بكفاءة ونكران ذات لوجه الله تعالى، كما فعل صديقي (أبو باسم) عندما كلفتُ إحدى معارفي الآنسة (سعاد) في تسهيل مهمة حصوله على حقوقه في دائرتها، وكانت مشروعه لحسن الحظ،.. فأتحفنا بهذه الابوذية الرائعة:

سعاد الكمر جّنج.. وانتِ جّنه
بخيت الصار عّمج وانتَ جّنه
علبج إحنا اعتمدنه وانتَجّنه (وانتجلنه)
الفضل لحسان من وّصاج بّيه

ihsanshamran@yahoo.com

الحلقة المفرغة

قراءة في وضع المرأة العراقية الآن

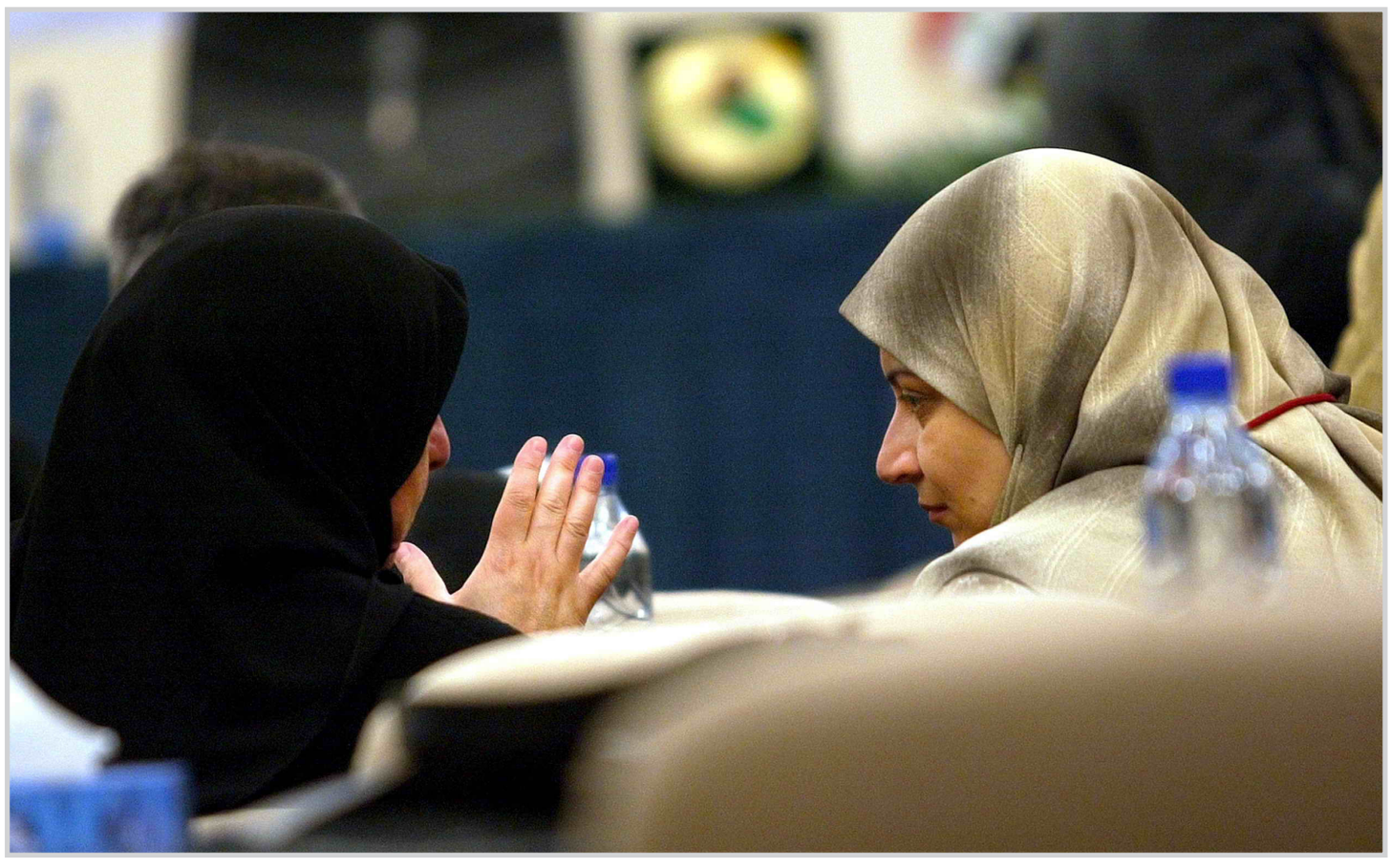

د. لقاء موسى فنجان
جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات

يمر موقع المرأة العراقية في المرحلة الراهنة بمنعطف خطير إذ تتراجع رؤية المرأة العراقية لذاتها حتى يكاد يتشابه وعي المتعلمات مع غير المتعلمات كما نلمس تفريط بمنجزات حققتها النساء العراقيات لسنوات طوال وفي مراحل صعبة من تاريخ البلد. فالتيارات الدينية المتشددة التي تتغلب على المشهد السياسي في العراق تمارس سحقاً لذات المرأة وتستخدمها في خدمة مشاريع ذكورية غير منصفة وإلا كيف نفسر أو كيف نفهم مطالبة غالبية البرلمانيات العراقيات في البرلمان السابق بإلغاء المادة ٤٠ من الدستور العراقي وتفعيل حق الرجل في الزواج الثاني والثالث دون قيد او شرط كحل لمشكلة الأرامل في البلد – كالمستجير من الرمضاء بالنار – ناهيك عن الإرهاب اليومي الذي يمارس ضد النساء غير المحجبات بل والمحجبات بأزياء حديثة.

يدفعنا هذا لمقارنة حال المرأة العراقية في أوائل القرن العشرين مع حالها الآن، لقد أعقبت حركات التحرير العالمية بداية الثورة الفرنسية حركات تحرر نسائية أي أن التحرر في تفكير الرجل وسعيه إلى التكامل الإنساني القائم على الحرية والمساواة بين أبناء البشر كافة رافق تحرير النساء من عبودية العصور الوسطى. وفي العراق والبلاد العربية طوت النساء صفحات عبوديتها الأولى مع بداية حركات التحرر من الاستعمار ونشوء المجتمعات العربية الحديثة التي رافقتها تيارات فكرية تقدمية قدمت هذه التيارات سواء أكانت اشتراكية رادكالتية أم قومية خدمة كبيرة للمرأة العربية لأنها اقترحت تحريرها وتعليمها جزءاً من مشروعها السياسي الساعي إلى تغيير السلطة، وكل سعي إلى السلطة يتطلب مغايرة مع النظام القائم وتقديم مشروع جديد، والنظام القائم كان جزءاً من مشروع الدولة العثمانية الذي يستمد قوته من فتاوى رجال الدين والتي يشكل إقصاء المرأة وتهميش دورها الاجتماعي في أنماط محددة ضمن أعراف ثقافية وتقاليد تسندها الأطر الدينية وتعمل على استمرارها بعدها مشيئة الله في أرضه.

لذلك عملت التيارات الفكرية في بداية القرن العشرين على تقديم مشروعها التقدمي المغاير لما هو قائم في تلك الحقبة. فمنذ نشوء الدولة العراقية الحديثة ومشروع تعليم الإناث ودمجة في مجتمع متحضر يتبنى قيم الحضارة الغربية في كثير من جوانبه يخطو خطوات ثابتة في طريق تمكين المرأة اقتصادياً وثقافياً. يدفعنا هذا للتساؤل عن طبيعة هذه الحلقة المفرغة التي تدور فيها المرأة العراقية لتعود الآن من حيث بدأت جدتها.

يبدو لي أن العراقيات لابد من أن يكونَّ واعيات لهذا المأزق الوجودي ضمن فوضى مرحلة ساحقة للإنسان العراقي المتحضر رجلاً كان أم امرأة.

ابن ديصان الفيلسوف الكردي

فلسفة التوحيد الإشراقي الصوفية الثنوية في كردستان قبل الإسلام

كانت كردستان مهداً للعرفانية والصوفية الاسلامية، وكانت مركزا لظهور النظريات العرفانية والإشراقية قبل الإسلام والتي تسمى (غينو سيزم) باللغات الاوروبية.

منذ القرن الاول قبل الميلاد والى القرن السابع الميلادي كانت الفلسفة الإشراقية والتوحيد الإشراقي والثنائية الكردية تدّرّسُ في مدارس كردستان في مدن (رُها، حرّان، نصيبين) وكذلك مدرسة (جندي شابور) في خزستان.

عندما جاء العرب الى تلك المناطق أغلقوا تلك المدارس لفترة من الزمن، إلا أنها انبثق منها النور من جديد في منتصف القرن الثامن الميلادي.

ولكي يكون حديثنا واضحا علينا ان نلقي الضوء على بعض من المصطلحات الفلسفية، وبعد ذلك نتحدث عن بعض من المراكز العلمية في كردستان، ومن ثم نتعرف على الفيلسوف الكردي الكبير (بن ديصان).

علي نقي المنزوي
■ ترجمة : دانا أحمد مصطفى

التوحيد الإشراقي والتوحيد العددي

يقول الصوفي (السهروردي) الذي استشهد سنة ٦٨٢ للهجرة : إن التوحيد العددي يقابل الثنائية والثلاثية، لكن التوحيد الإشراقي يعني (الكل) و ليس له مقابل، التوحيد الإشراقي بمعنى (الوجود) ولايقابله سوى (العدم)، إذن أن التوحيد الإشراقي لا يُكثّر.

التوحيد عند اليهودية كان التوحيد العددي

سَمّى اليهود ربَّهم بـ (يهوه) وهو ملك جبار اكبر الملوك، كانوا يتخيلونه، وكان واحدا لكونه اشد تسلطا من سائر المتسلطين، أي انه الاكثر نفوذا من إله الأقوام الأخرى، لكن يشاركه بعض الناس في معظم صفاته الاخرى.

الفسلفة الثنائية

إن للفلسفة الثنائية جذوراً هندية آرية، وكان سكان وادي (سند) و (الفرات) يؤمنون بها بشكل او بآخر منذ ألفي سنة قبل الميلاد، وكانوا يعدّون العالم المادي (سينتيز) صراعَ عالمين متضادين، اي عالم النور (الخير) من جهة وعالم الظلام (الشر) من جهة اخرى، وكانوا – بحسب قول الشهرستاني –يطلقون كلمة (المعدل) لـ(سينتيز) "الملل والنحل ج١ ص٢٥٢"، وكانوا يقولون: إن عالم النور او (الإله) ليست له السلطة على الشر ويستحيل ان يفيض الشر عن الخير، والعكس صحيح، فإن عالم الظلام (الشر) لا سلطة له على عالم الخير ويستحيل ان يفيض عنه الخير، هذا النظام في علم الكلام الإسلامي يُعبّر عنها بالقولِ: (لايصدر من الواحد إلا الواحد)، وعن صراع عالمي الخير والشر المتضادين صدر عالم (المعدل) الثالث، العالم المادي تتكون من اختلاط الاجزاء غير المنسجمة لهذين العالمين، والانسان الذي هو اكمل الاجزاء للعالم الثالث يتساوى في تركيبه عنصرا الخير والشر، لذلك يمكن ان يسبب للخير والشر معا، وان أياً من العنصرين لا يَقدرُ على جلبه تماما، وان العقل الانساني هو الذي بمقدوره الاختيار بين الخير والشر، وهو في الوقت نفسه مصدر المسؤولية الاخلاقية ومسؤولية الحقوق.

إن عاقبة العمل الصالح هي التوجه نحو عالم الخير و الانضمام الى عالم النور(الجنة) في النهاية، وان عاقبة العمل المنكر تقود الانسان الى عالم الظلام والألم والمصائب وبالتالي الى جهنم.

رُها = إديسّة EDESSAE

إن مدينة أديسة والتي اطلق عليها المسلمون اسم (رها) كانت على ضفة نهر (ديصان) التي تقع الان في تركيا وتسمى (قره قويون + الخروف الاسود) ، هذه المدينة منذ القرن الاول قبل الميلاد الى القرن السادس الميلادي كانت مركزا لتبادل و تصادم افكار الاقوام الآرية والسامية، تدرّس في مدرسة (رُها) الفكر المشبائي الاغريقي، الافلاطونية الحديثة للاسكندرية و غيونيزم الهندية معاً، اختلط التوحيد اليهودي بالثنائية الكردية، والنقت فيها النبوة الإسرائيلية والإشراقية الهندية والآرية.

مدينتا (حرّان و نصيبين)

انتقل المركز العلمي في القرنين السادس والسابع الميلادي من (رُها) الى هذين المدينتين، وبعد ان احتل العرب هاتين المدينتين اغلقوا مدارسهما لنحو قرن من الزمان، ومن الفلاسفة المسلمين الذين تخرجوا من مدرسة حرّان (ثابت بن قرة) و أبناؤه، و (ابو عبد الله البستاني) والذين عاشوا في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

بريديصان

بريديصان (ابن ديصان) فيلسوف ولد في شهر تموز سنة ١٥٤ للميلاد، من ابوين كرديين وإسماهما (نهاما) و (نهشيرام) بمدينة (رُها) التي كانت تسمى ايضا بـ (أورفا وإيديسة)، لان وادي دَيْصان (قره قويون) يمر عبر هذه المدينة فاشتهر بـ (بريديصان) أي (ابن ديصان) ، ان ابويه اللذين يعتبران نفسيهما من قوم (بارت) كانا يعملان في قصر مانو الثامن (١٣٩-١٦٣) من العائلة الابغارية، نشأ بريديصان مع أبغار التاسع الذي كان وليا للعهد، وتعلم في المدارس لغتي السريانية واليونانية اللتين كانتا اللغتين العلميتين في ذلك الوقت، و تعلم السريانية الى حد لقب بمبدع الشعر السرياني.

بعد انقلاب ضد القصر توجهت عائلته الى (منبج) و تعلم في مدارسها علم النجوم و الغيوسيزمية الكردية، وحينما اعتلى ابغا التاسع (صديقه المدرسي في الطفولة) العرش (١٧٦-٢١٦م) عاد بريديصان الى رها واختلط بالمسيحيين و تديّن بدينهم ووصل الى مرتبة الكهان، لكن سرعان ما ارتد عن ذلك الدين و دافع عن الفلسفة الثنائية والإشراقية الكردية الى نهاية حياته، لذلك اصبح عرضة لكراهية المسيحيين، ومات سنة ٢٢٢م في الثامنة والستين من عمره و خلف ثلاثة اولاد و عدداً من الكتب.

آثار بريديصان

الآثار التي سجلها المؤرخون باسمه كثيرة، لكنها ضاعت سوى عدد قليل من كتبه، منها: كتاب اسمه (قوانين الدول) وقد ترجم من السريانية الى الكثير من اللغات الأوروبية ولكنه لم يترجم حتى الآن الى لغة مؤلفه ألا وهي اللغة الكردية، وقد بيّن فيه بريديصانَ نَظرياته حول الفلسفة الثنوية والثالوثية، وعلى اساسها اثبت أن الإنسان مخيّر في ما يفعله، وتحدث عن حتمية القوانين الطبيعية و تسلسل (العلل والمعلولات) على شكل الحوار، وابتدأ بهذا التسلسل من المخلوقات على وجه الارض الى الكواكب السيارة والثابتة، وهي النظرية نفسها التي تحولت الى (نظرية العقول العشرة) للغنوسيتيين من بعده.

آراء بريديصان حول (إلزامية المبادئ السامية) و (حتمية القوانين) من جهة و (اختيارية الانسان) من جهة اخرى، التي تعود الى الفلسفة الثنائية الكردية، تلك الآراء أثارت كراهية المسيحيين واليهود والجبريين واتباع فلسفة التوحيد العددي..

وقد ألف كتابين حول تأريخ ارمنستان وهندستان، وكتب عددا من المقالات حول: ثنائية النور والظلام، التوحيد الاشراقي، الحركة والسكون، و هناك من يتحدث عن قصيدة غريبة له بعنوان (اغنية الروح) أو (ابن الملك) حول احواله الآتية، وبقي عدد من قصائده في كتب غيره.

مذهب بريديصان

يقول الشهرستاني (٥٤٨-١١٥٣م): كانَ ابن ديصانِ يؤمن بثنائيةِ النور والظلام، وعدّ عالم النور حياً، ذا حسٍّ، قوياً ذا إرادة، وبالمقابل عدّ عالم الظلام جماداً، عديمَ الاحساس، جاهلا، ضعيفاً،عديم الا رادة..... (الملل والنحل ج١، ص ٢٥٠-٢٥١) ، ونظرية بريديصان هي نفسها التي اصبحت مصدرا للتوحيد الاشراقي عندما يقول: لايوجد شيء في الدنيا سوى الخير والشر، و(الوجود) يعني بداية الخير، والشر يعود الى (عدم الوجود) ، مثلا:

القتل شرٌ لكونه إبادةً للحياة، لكن خاصية القطع في السكين او قوة السهم ليستا شراً في ذاتهما، كان بريديصان يعتقد انه عندما اختلط النور بالظلام سبّب في ظهور الدنيا المادية و السماء والارض اللتين فيهما الشر والخطيئة فأرسل الله (المسيح) الى الدنيا للتفريق بين الخير والشر، وسوف يطول هذا الامر ستة آلاف سنة.

ان اعتراف بريديصان بالمسيح و نظرياته حول الثالوث جعله المسيحيون دليلا على مسيحيته، مع ذلك آمن كل من (ماني) و (محمد) بأن المسيح نبي لله ولا نستطيع القول بانهما مسيحيون، نظريات بريديصان حول الثالوث تختلف عن الثالوث المسيحي اختلافا جذريا.

الثالوث الآرياني والثالوث المسيحي

كما اشرنا اليه سابقا ان الآريين قالوا ان هناك مبدأي الخير والشر و عبروا عنهما بعالمِ النور وعالم الظلام، و يعتبرون العالم المادي معدلاً صادرا عن صراع هذين العالمين، وسماها بريديصان : أبا الحياة وأم الحياة والحياة، لكن مؤسسي المذهب المسيحي اي الحواريين اخذوا الثالوث الآرية و شوّهوه، لانهم كانوا يهوديين و كانوا يؤمنون بالتوحيد العددي، ولم يفهموا الثنائية، وظهر (معدل) عن هذا الاختلاف دون تصفيته فسموه (الاب و الولد و روح القدس) وفي الحقيقة ليس هناك فارق بينهم وانما ثلاث صفات لشيء واحد، وبذلك رجعوا بالثالوث الى التوحيد العددي لليهود و اصبحوا جبريين و رأوا ان مفاتيح الجنة والنار بيد الله، فمن شاء يرسله الى الجنة ومن شاء يسوقه الى جهنم، يقول بولس: الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، مثل الذي يصنع الفخار فيصنع من طين واحد فخارا للشراب و فخارا للنفايات .. (الإنجيل، رسالة الى الروميين ٩ : ١٨-٢١).

بريديصان والجبر والاختيار

كما رأينا ان اليهود والمسيحيين لكونهم يضعون الانسان مقابل جاذبية واحدة فلا بد لهم من ان يكونوا جبريين، وحتى المسيحيون الذين يحسبون أنفسهم اختياريين لا يستطيعون أن يفلتوا من مصيدة الجبر، والدليل هو الآيات الجبرية في الإنجيل حيث تحدثنا عن إحداها سابقا، لكن بريديصان كفيلسوف ثنائي يرى الانسان مقابلا للصراع بين الخير والشر وعقله حاكمٌ في ذلك حيث يستطيع أن يختار أيا منهما بإرادته في حين حسب الانسانِ مختارا، وكان يرى تسلسلَ العلل والمعلول إجبارياً، أي أنه كان يؤمن بالحتمية في الماديات، لان الماديات تنحّت الى الشر و آله الشر ، وهي ميتة غير مدركة وغير مخيرة، يقول بريديصان: ان نتيجة العمل الصالح هي التقرب من النور والتوحد معه في النهاية، ونتيجة العمل الشر هي الابتعاد عن النور و الذوبان في الظلام في النهاية، وكان لا يؤمن بالجنة والنار الماديتين في الآخرة، وبعض من نظرياته حول الجنة والنار كان قريبا جدا من نظريات (ابن سينا) و (خواجة نصير الطوسي) حيث تحدث عنهما في كتابي (الأضحوية) و(البداية والنهاية) .

بريديصان و التوحيد الإشراقي

نستطيع القول بأن التوحيد الإشراقي لدى صوفيي كردستان بعد الاسلام هي نظريات بريديصان نفسها ولكن بشكل مكتمل، كان بريديصان يحسب النور كله والمفهوم السلبي (الميت عديم الارادة، عديم القدرة، الجاهل) صفات للدنيا والظلام، والصوفيون عندما يتحدثون عن التوحيد الاشراقي يقولون: ان الدنيا المادية التي تظهر كمزيج للخير والشر انما هي خير محض، لان الشر هو عبارة عن العمل السلبي والعدم، ولان الوجود له سبب وهو النور والخير المطلق، والعدم لايحتاج الى السبب، إذن بداية الدنيا واحدة والتي هي الوجود المطلق لها ومقابله ليس إلا العدم ، وان الماهيات المتنوعة للدنيا تكون في درجات مختلفة للوجود المطلق.

السريانيون وبريديصان

كما كان الفرس قبل الاسلام يثرون العلم والادب والفلسفة للعرب، فإن الكرد قبل الاسلام كانوا يخدمون اللغة والادب والفلسفة للسريانيين، فإذا كان ابن سينا البلخي قد الّف معظم كتبه الفلسفية باللغة العربية فان بريديصان الكردي ألفَ آثاره باللغة السريانية، وكما نظم الخليل بن احمد الفراهيدي الاوزان الشعرية للشعر العربي فإن بريديصان قام بالعمل نفسه للشعر السرياني، وكما ان العرب يحسبون ابن سينا والرازي والفارابي والبيروني فلاسفة العرب، فان السريانيين يعدون بريديصان فيلسوفا سريانيا، وعلى الرغم من ذلك فإن جميع المؤرخين والمستشرقين اقروا بأن أبويه كرديان، وإذا كان المسيحيون على امتداد التأريخ قد قاموا بسبّ هذا الفيلسوف واتهموه بالثنائي والمرتد والشيطان والمنجم، فإن المسيحيين الإصلاحيين عدوا بريديصان مسيحياً وذلك في سنة ١٩٦٥، كما إنهم حسبوا نبي الإسلام (ص) كمبشر مسيحي.